أساليب التصدي للإرهاب الفكري

عند الأمام جعفر الصادق عليه السلام

مناظرته مع ابن ابي العوجاء (ت١٣٨هـ/٧٥٦م) أنموذجا

أ.د. جنان علي فليح الشمري
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

jinanali@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص

تُعد الحقبة التأريخية للمدة من منتصف القرن الاول وحتى منتصف القرن الثاني الهجري، شاهدا» على تطور الإرهاب الفكري ونشأة الكثير من الافكار والطروحات العقائدية والفكرية وقواعدها المعروفة، إضافة الى حركات الغلو التي ظهرت نتيجة توسع الدولة العربية الاسلامية شرقا» وغربا»، وانضواء تحت لوائها الكثير من الشعوب والقوميات المختلفة بعقائدها الخاصة والمعقدة ذات البُعد الحضاري لتحمل افكارها اما علانية او خفاء» الهدف منها تقويض الدين الاسلامي ودعائمه، من خلال ألصّاق بعض من هذه الأفكار على العقيدة والمبادئ الاسلامية وضربها بالتأصيل الباطني الذي يحل الديانات الهندية والفارسية القديمة محل الاسلام.

عاصّر الامام جعفر الصادق عليه السلام (ت:١٤٨ هـ) الذي كان امتدادا "لحياة آبائه واجداده الطاهرين حملة الرسالة الاسلامية ولسانها الناطق وصورتها المعبرة بكل معاني الدقة والتعبير، هذه الظاهرة وما أفرزته من أزمات عقائدية، فأنبرى للتصديّ والرد على الشبهات والافكار الدخيلة في العقيدة ودحضّها محاولا» قطع الطريق عليهم بالحجج والبراهين والمناظرات العلمية المرتكزة على قواعد دينية رصينة، تستمد مقوماتها من الاسلام الصحيح ومبطلا» لها بما يخالفها شكلا» ومضمونا».

لذا يتناول هذا البحث الموسوم ((اساليب التصدي للإرهاب الفكري عند الامام جعفر الصادق عليه السلام، مناظرته مع ابن ابي العوجاء(ت١٣٨هـ/ ٧٥٦م) انموذجا

الكلمات المفتاحية: الإرهاب/ الزندقة/ التاريخ/ الإسلام/ مناظرة.

Methods of confronting intellectual terrorismaccording to Imam Jaafar Al-Sadiq (peace be upon him), his debate with Ibn Abi Al-Awja' (d. 138 AH/756 AD) as an example

Jinan Ali Flattih
Mustansiriyah University- College of Arts
jinanali@uomustansiriyah.edu.iq

Abstrac

The historical era extending from the middle of the first century until the middle of the second century AH is considered a witness to the development of intellectual terrorism and the emergence of many doctrinal and intellectual ideas and proposals and their well-known bases, in addition to the extremist movements that emerged as a result of the expansion of the Arab Islamic state eastward and westward. Many different peoples and nationalities have embraced under its banner, with their own complex beliefs with a civilizational dimension, to carry their ideas either openly or secretly. The aim is to undermine the Islamic religion and its foundations, by attaching some of these ideas to the Islamic doctrine and principles and attacking them with an esoteric rooting that replaces the ancient Indian and Persian religions with Islam.

A contemporary of Imam Jaafar al-Sadiq (d. 148 AH), who was an extension of "the life of his pure fathers and grandfathers, the bearers of the Islamic message, its speaking tongue, and its expressive image in all senses of accuracy and expression," this phenomenon and the doctrinal crises it produced, so he set out to confront and respond to the suspicions and ideas alien to the faith and refute them, trying to "block the road." They must provide arguments, proofs, and scientific debates based on rules A solid religious faith that derives its components from true Islam and is invalidated by anything that contradicts it in form and content.

Therefore, this research deals with the study of ((Methods of confronting intellectual terrorism according to Imam Jaafar Al-Sadiq (peace be upon him), his debate with Ibn Abi Al-Awja (d. 138 AH / 756 AD) as a model))

Keywords: terrorism/heresy/history/Islam/debate

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وآله الطيبين الطاهرين واصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.

تُعد الحقبة التأريخية الممتدة منذ منتصف القرن الاول وحتى منتصف القرن الثاني الهجري، شاهدا» على تطور الإرهاب الفكري ونشأة الكثير من الافكار والطروحات العقائدية والفكرية وقواعدها المعروفة، إضافة الى حركات الغلو التي ظهرت نتيجة توسع الدولة العربية الاسلامية شرقا وغربا، وانطواء تحت لوائها الكثير من الشعوب والقوميات المختلفة بعقائدها الخاصة والمعقدة ذات البُعد الحضاري لتحمل افكارها اما علانية او خفاء الهدف منها تقويض الدين الاسلامي ودعائمه، من خلال ألصّاق بعض من هذه الأفكار على العقيدة والمبادئ الاسلامية وضربها بالتأصيل الباطني الذي يحل الديانات الهندية والفارسية القديمة محل الاسلام.

عاصّر الامام جعفر الصادق عليه السلام (ت: ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) الذي كان امتدادا» لحياة آبائه واجداده الطاهرين حملة الرسالة الاسلامية ولسانها الناطق وصورتها المعبرة بكل معاني الدقة والتعبير، هذه الظاهرة وما أفرزته من أزمات عقائدية، فأنبرى للتصديّ والرد على الشبهات والافكار الدخيلة في العقيدة ودحضّها محاولا» قطع الطريق عليهم بالحجج والبراهين والمناظرات العلمية المرتكزة على قواعد دينية رصينة، تستمد مقوماتها من الاسلام الصحيح ومبطلا» لها بما يخالفها شكلا ومضمونا.

لذا فأن هذا البحث يتناول دراسة ((اساليب التصدي للإرهاب الفكري عند الامام جعفر الصادق عليه السلام، مناظرته مع ابن ابي العوجاء(ت١٣٨هـ/ ٧٥٦م) انموذجا))، وقسم الى مبحثين يسبقهما المقدمة ويأتي بعدهما الخاتمة، جاء المبحث الاول في دراسة السيرة الذاتية للأمام عليه السلام، اما المبحث الثاني فتناول اساليب التصدي للإرهاب الفكري عند الامام عليه السلام، وتناولنا مناظرته مع ابن ابي العوجاء انموذجا.

المبحث الاول

السيرة الذاتية للأمام جعفر الصادق عليه السلام.

هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهم السلام العلوي، الهاشمي، القريشي (المقدسي، ٢٠٠١، صفحة ١٢٩). (ابن عبد البر، ١٩٦٧، صفحة ج٢/ ٦٦)،

ولد الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في المدينة المنورة في ١٧ ربيع الاول وهو يوم مولد جده رسول الله صلى الله عليه وآله، في ارجح الروايات لسنة٨٣هـ / ٧٠٢م (الكليني، د.ت، صفحة ١/ ٤٧٢)، وقيل في سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م (الاربلي، ٢٠٠٦، صفحة ٢/ ٣٠٦)، وهي سنة سيل الجحاف الذي ذهب بالحجاج من مكة (الاربلي، ٢٠٠٦، صفحة ٢/ ٣١٢).

نشأ(عليه السلام) في ظل اسرة كريمة من اشرف اسر العرب والمسلمين، تلك الاسرة التي انجبت خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد(صلى الله عليه وآله)، وعظماء الائمة واعلام العلماء، فورث خصالهم العظيمة وسجاياهم الطيبة، لقد ترعرع الامام جعفر(عليه السلام) في ظل العلم النبوي فجده لأبيه زين العابدين كان امام المدينة واكثر اهلها نبلا» وعلما»، وحضى باهتمام والده الذي كان مضربا للمثل في العلم، لقبه جده الرسول محمد(صلى الله عليه وآله) بالباقر ((لأنه يبقر علم الدين بقرا)) (الطبرستي، ١٩٦٦، صفحة ٢/ ٤٩)، ووالدته السيدة الجليلة فاطمة الشهيرة بكنيتها (ام فروة) (الطبري، ١٩٣٩، صفحة ١٣٨) بنت القاسم بن محمد بن الخليفة الراشدي ابي بكر(رضي الله عنه) (ابن قتيبة الدينوري، ٢٠٠٣، صفحة ٦٠٢)، قال عنها الامام الصادق(عليه السلام) ((كانت امي ممن آمنت و أتقت وأحسنت، والله يحب المحسنين)) (الكليني، د.ت، صفحة ١/ ٤٢٧)، فعكفوا جميعا» على تعليمه، فكان قوي الذاكرة مقبلا» على العلم منذ سنيه المبكرة.

كني الامام جعفر الصادق(عليه السلام) بأبي عبد الله وهي أشهرها، وابي إسماعيل، وابي موسى (سبط ابن الجوزي، ٢٠٠٤، صفحة ٤٢٨)، ولقب بالقاب كثيرة (المسعودي، ٢٠٠٩، صفحة ١٩٣): كالفاضل لأنه كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم في جميع العلوم، والطاهر لأنه اطهر انسان في عمله وسلوكه واتجاهه في عصره، والصابر لأنه خبير على المشاقة والمريرة التي تجرعها من خصومه الامويين والعباسيين، والقائم لقيامه بأحياء الدين والدفاع عن الشريعة الاسلامية، والكافل لأنه كان كافلا للفقراء والايتام المحرومين، الا ان اشهرها لقب الصادق لصدقه، فقد روي عن علي بن الحسين عن ابيه عن جده(عليهم السلام) قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) :((اذ ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فسموه الصادق)) (الشيخ الصدوق، ١٩٦٦، صفحة ١/ ٢٣٤).

تذكر المصادر التاريخية ان الامام الصادق(عليه السلام)، تزوج من نساء عديدات منهن، فاطمة بنت الحسين الاثرم بن الحسن بن علي بن ابي طالب(عليهم السلام)، وحميدة البربرية، وأتخذ آماء أخريات ورزق(عليه السلام)، عشرة اولاد، وقيل أحد عشر ولدا»، سبعة من الذكور وأربع اناث، أشهرهم الأمام الكاظم(عليه السلام) من حميدة الملقبة بالمصفاة، واسماعيل من زوجته ام فروة (ابن حزم، ٢٠٠٩، صفحة ١/ ٥٩).

اما عن أدلة الأمامة لجعفر الصادق(عليه السلام)، فقد روي ان النبي(صلى الله عليه وآله) قال للأمام علي(عليه السلام): ((...الائمة من ولدك، وأومئ الى الحسين وقال: الائمة من ولده)) (الطوسي، ١٩٩٣، صفحة ٢٤١) ولكل امام ادلة عرفت عنه وله، الاول منها وصية أبيه له، تذكر المصادر ان الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي(عليهم السلام) من بين اخوته، خليفة ابيه ووصيه والقائم بالإمامة من بعده، الثاني: النص عليه من ابيه، اذ وصى له أبو جعفر وصية ظاهرة، ونص عليه بالإمامة نصا «جليا»، والثالث: انه افضل اهل زمانه «علما وعملا وورعا وعبادة وحلما وسخاء وكرما» وفي جميع صفات الفضل، فيكون احق بالإمامة (الشيخ المفيد، ١٩٨٣، صفحة ٢٦٣).

عاش الصادق حتى وفاته سنة ٤٨١هـ/ ٧٦٥م بالمدينة، وقد ذكر اليعقوبي انه توفي زمن المنصور، وان الاخير حزن عليه وكان يقول (سيدهم وعالمهم وبقية الاخبار منهم تـوفي...) (اليعقوبي، ٢٠٠٢، صفحة ٢/ ٢٦٨)، كما وصف جعفرا» بأنه ممن قال الله فيه ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا** ﴾ (سورة فاطر، صفحة ٣٢)، فكان جعفر بن محمدعليه السلام ممن اصطفى الله وكـان من السابقين بالخيرات، ويبدو وفاة الامام الصادقعليه السلام اعلن المنصور عن اسفه بصفته خليفة وهذا أمر طبيعي جدا، وقد حصل نظير هذا الموقف ايضا» للمأمون ازاء الامام الرضاعليه السلام، بل يعتبر مثل هذا الامر قضية طبيعية جدا» فيما يخص الخلفاء وحوادث الاغتيال السياسية التي تنفذ بناء» على اوامرهم (جعفريان، ١٩٩٤، صفحة ١/ ٢٥٣).

لقد قضى الصادقعليه السلام نحبه على يد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور مسموما» (المسعودي ا.، ٢٠٠٦، صفحة ٣/ ٣٢٣) الذي كان يغتاظ من اقبال الناس على الامام والالتفاف حوله، ودفن في البقيع الى جانب أبيه الامام الباقر وجده الامام زين العابدين وعم جده الامـام الحسن بن علي بن ابي طالب (عليهم السلام اجمعين) (ابن الاثير، د. ت، صفحة ٥/ ٥٨٩)

المبحث الثاني

اسـاليب التصـدي للإرهـاب الفكـري عنـد الامـامعليه السلام

الارهـاب في اللغة يعني: رهب الـشيء يعني خافه، وأرهبه يعني أخاف وأفزع (ابن منظور، د.ت، صفحة ٢/ ١٧٤٨)، واصطلاحاً يقصد بـالإرهـاب الفكري الاعتداء على عقائد المجتمع وعاداته وتقاليده، مما يتسبب في القضاء على شعور افراده بالهدوء والطمأنينة والاستقرار وتهديد مصالحه وحياته (المجدوب، ١٩٨٧م، صفحة ٥٤)، ويعني غرس الأفكار الخاطئة والمعتقدات الفاسدة التي تشكل خطراً على وحدة افراد المجتمع وأمنه، وتزعزع الاستقرار في الحياة الاجتماعية، ويمثل أزمة فكرية وطمس للهوية الإسلامية الاصيلة واستراتيجية مرعبة للشعوب المسلمة تمتد جذورها عبر التاريخ لا تقتصر على فترة زمنية محددة (ايوب، ٢٠٢١، صفحة ٣٤٥)

اما مفهوم الزندقة فالزِنْدِيق بالكسر وسكون النون وكسر الدال وهي كلمة معربة من اللغة الفارسية(زندن)، قـال ابـن منظور : تطلق على القائلين ببقاء الدهر من الملحدين والدهويين والثنوية (ابن منظور، د.ت، صفحة ١٠/ ١٤٧)، وعن الفيروزابادي : الزِنديق بالكسر من الثنوية، او القائل بالنور والظلمة، او من لا يؤمنون بالأخرة والربوبية، اومن يبطن الكفر ويظهر الايمان (الفيروزآبادي، ٢٠٠٨، صفحة ٧٢٣)، والزندقة اصطلاحا» اطلق لفظ (زنديق)، على عدة معان حملت المعنى نفسه، فكان يطلق على من يؤمن بالمانوية التي تقول بأن للعالم اصلين أزليين

هما النور والظلمة، وهي ديانة اسسها ماني بن فاتك زمن الملك سابور بن اردشير ملك الفرس، زعم انه نبي وركز على العقيدة الثنوية (الشهرستاني، ٢٠٠٩، الصفحات ٢/ ٢٦٨-٢٦٩)، كما ذكر المسعودي ان الزنديق من اتباع مزدك وهو الذي يأتي بتفسير جديد للكتاب زرادشت المعروف (بالبستاه) او (الابستاق) باللغة الفارسية الاولى، وعمل له تفسير هو الزند، وعملوا لهذا تفسيرا او شرحا، ممن عدل عن البستاه الى التأويل الذي هو الزند قالوا : زندي وعربه العرب بقولهم : زنديق (المسعودي ا.، ٢٠٠٦، صفحة ٢/ ٢٧٥)، اما التهانوي فذكر ان: الزنديق هـو((الثنوي القائل بالهين، وهما اللذان يعبر عنهما باله النور واله الظلمة او يزدان واهريمن، ويزدان هو خالق الخير والشراهريمن(الشيطان)، والزنديق هو غير المؤمن بالله والاخـرة، وهو المظهر للايمان والمبطن للكفر...والكلمة معرب زندي اي المؤمن بكتاب زند وهو كتاب زردشت المجوسي القائل بيزدان واهريمن)) (التهانوي، ١٩٩٦، صفحة ١/ ٩١٣)، وابو العلاء المعري كان اكثرا تحديدا لتعريفه للزنادقة حين قال :(الزنادقة هم الذين يسمون الدهرية ولا يقولون بنبوة ولا كتاب) (بنت الشاطئ، ١٩٦٣، صفحة ٤٢٩).

وقد فصل احمد امين في كتابه (ضحى الاسـلام) الى عدم تحديد معنى الزندقة بدقة، ولها معان متعددة فهي عند العامة يطلقونها على الماضي والمتهتك كأبي نواس وبشار بن برد، وعند الخاصة يعنون بها الفرس الذين انتسبوا الى الاسلام ثم اخذوا في بث تعاليمهم القديمة فهؤلاء يدينون بماني او مزدك ثم يتظاهرون بالأسلام تقية او توسلاً الى ضلال الناس (امين، ١٩٥٤، صفحة ٦/ ١٥٢).

مما سبق يتضح لنا ان لمصطلح (الزندقة والزنادقة) مدلول لا يخلو من الغموض، فأن لفظ زنديق كانت تطلق على كل شخص يؤمن بالمانوية، ثم اتسع المعنى من بعد اتساعا كبيرا حتى أطلق على كل صاحب بدعة او ملحد (بدوي، ١٩٤٥، صفحة ٢٤).

ويمكننا القول بأن فكرة الزندقة ليست بجديدة على الاسلام وانما ترسخت ملامحها وتبلورت جليا» في عصر الامام الصادق(عليه السلام) فتحفز الزنادقة لهدم الدين الاسلامي من خلال البدع والضلالات التي ابتدعوها فضلا» عن تحريف الأحاديث النبوية الشريفة ووضعها، وتمكن الامام(عليه السلام) من ابطال حججهم الواهية، مما يدعونا للولاء العملي لخط اهل البيت(عليهم السلام) ولاء» يوحد الضمائر والجهود لخير الاسلام واهله.

فقد شهد الامام الصادق(عليه السلام) مرحلة سقوط الدولة الاموية وعايش اهم أحداثها، وأوائل الدولة العباسية وامتدادا» الى عهود طغيانها وعنفوان قوتها، فقد ثار في عهده عمه زيد بن علي بن الحسين سنة ١٢٢هـ، وقد ادت هذه الثورة على خروج جماعة من الشيعة كانت تقول بإمامة جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام)، فقالت بإمامة زيد وظهر خط جديد من الشيعة هم الزيدية، وشاهد بداية الدعوة العباسية وظهور جماعة تدعو لآل العباس وتخرج الخلافة من اولاد علي الى اولاد العباس، ثم

كان هناك ابناء عمه الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام الذين مالوا الى رأي الزيدية ورأوا الخروج على السلطان (داود، د.ت، صفحة ٢١٤)، ولكن الصادق اعتزل كل هذه الاحداث وتفرغ لعمله الأهم، الذي يعتمد عليه قيام الدين الاسلامي في مواجهة الافكار الدخيلة والمذاهب الفكرية المنحرفة عن الطريق الذي يدعو اليه الاسلام ((وشغل بالعبادة عن طلب الرئاسة)) (سبط ابن الجوزي، ٢٠٠٤، صفحة ١٩٢).

لقد اتخذت الزندقة في عصر الامام جعفر الصادق عليه السلام، شكلا «علميا» جعلت من عقيدة التوحيد السهلة مشكلة فكرية معقدة ذات طابع فلسفي غامض هدفها افساد عقيدة المسلمين وتشويه الاسلام وتغيير احكامه، فتصدى لهم الامام الصادق عليه السلام عن طريق السلاح العلمي بالحجة والبرهان والأدلة الدامغة دفاعا «عن الاسلام ومبادئه السامية، وقد جعل اهم أهدافه هو صيانة الشيعة من الانحراف ووقايتهم من التأثر بالانحرافات التي كانت سائدة في عصره والتي تهدد على الدوام النقاء الفكري والعقائدي (جعفريان، ١٩٩٤، صفحة ١/ ٢٥١)، وسنعرض مناظراته مع ابن ابي العوجاء.

_ عبد الكريم بن ابي العوجاء(ت١٣٨هـ/ ٧٥٦م):

هو أحد الزنادقة المشهورين من قبيلة بني عمرو بن ثعلبة وهو خال معن بن زائدة الشيباني، تتلمذ على يد الحسن البصري، لكنه تركه، وأنحرف عن خط التوحيد، قيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة، قال: ان صاحبي كان مخلطا»، يقول طورا» بالقدر وطورا »بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهبا» دام عليه (الطبرستي، ١٩٦٦، صفحة ٢٠٢).

آمن عبد الكريم بن ابي العوجاء بالتناسخ وأتخذ من سيرة ماني وسيلة للدعوة وتشكيك الناس في عقائدهم، ألقى القبض عليه، وحاول ابن اخته القائد معن بن زائدة الشيباني التوسط له عند المنصور، فعفا عنه ولكن عامله في البصرة عجل في قتله سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٦م، وتذكر المصادر التاريخية اعتراف ابن ابي العوجاء قبل موته بوضعه اربعة الاف حديث حرم فيها الحلال وأحل بها الحرام وقوله فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم (البيروتي، ٢٠٠٠، صفحة ٦٨).

سجل لنا التاريخ مناظرات عبد الكريم مع الأمام جعفر الصادق عليه السلام، منها أنه كان يوماً هو وعبد الله بن المقفع (كان فارسيا» ماهرا»في بلاغة اللسان والقلم والترجمة، وهو الذي عرب كتاب كليلة ودمنة، قتله سفيان المهلبي امير البصرة في عام ١٤٣هـ، بأمر من المنصور) (بدوي، ١٩٤٥، صفحة ٦٦) في المسجد الحرام فقال ابن المقفع : ترون هذا الخلق، وأومأ بيده الى موضع الطواف، ما منهم أحد أوجب له اسم الانسانية إلاّ ذلك الشيخ الجالس، يعني ابا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، وأما الباقون فرعاع وبهائم، فقال له ابن أبي العوجاء : وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء، فقال : لأني رأيت عنده ما لم أره عندهم، فقال ابن أبي العوجاء : لا بد من اختبار ما قلت فيه منه، فقال

له ابن المقفع : لا تفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك، فقال : ليس ذا رأيك لكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه هذا المحل الذي وصفت، فقال ابن المقفع : أما اذا توسمت عليّ فقم إليه وتحفظ من الزلل ولا تثن عنانك الى استرسال فيسلمك الى عقال، وسمة ما لك وعليك، فقام ابن أبي العوجاء فلما رجع قال : ويلك يا ابن المقفع ما هذا ببشر وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد اذا شاء ظاهرا ويتروح اذا شاء باطنا فهو هذا، فقال له : كيف ذلك ؟ فقال : جلست إليه فلما لم يبق عنده أحد غيري ابتدأني فقال : إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون يعني أهل الطواف فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر كما تقولون، وليس كما تقولون، فقد استويتم وهم، فقلت : يرحمك الله وأي شيء نقول وأي شيء يقولون، ما قولي وقولهم إلا واحد، فقال : وكيف يكون قولك وقولهم واحدا، وهم يقولون إن لهم معادا وثوابا وعقابا، ويدينون بأن للسماء إلها وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد، قال : فاغتنمتها منه فقلت له : ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه يدعوهم الى عبادته حتى لا يختلف فيه اثنان ؟ لم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب الى الإيمان به، فقال لي: ويلك كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؟ نشوّك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد إنابتك، وإنابتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك لما لم يكن في وهمك، وغروب ما أنت معتقده عن ذهنك وما زال يعد علي قدرته التي هي في نفسي التي لا ادفعها، حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه (المجلسي، ٢٠٠٥، صفحة ٣/ ٤٨).

هنا نجد امام هذا المنطق الرائع للأمام الصادق(عليه السلام)، ينهزم ابن ابي العوجاء وتعقد الحيرة لسانه وتختلط عليه مواقف الحوار ليتصور ان الذي يحاوره انسان ولكن ليس من جنس البشر.

ثم أن ابن أبي العوجاء عاد إليه في اليوم الثاني فجلس وهو ساكت لا ينطق فقال أبو عبد الله(عليه السلام): كأنك جئت تعيد بعض ما كنّا فيه، فقال: أردت ذلك يا ابن رسول الله، فقال أبو عبد الله(عليه السلام): ما أعجب هذا تنكر الله وتشهد أني ابن رسول الله(صلى الله عليه وآله)! فقال: العادة تحملني على ذلك، فقال له الصادق(عليه السلام): فما يمنعك من الكلام، قال: إجلال لك ومهابة، ما ينطق لساني بين يديك، فإني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني هيبة قط مثلما تداخلني من هيبتك، قال(عليه السلام): يكون ذلك، ولكن أفتح عليك سؤالاً، وأقبل عليه فقال له: أمصنوع أنت ام غير مصنوع؟ فقال له ابن ابي العوجاء: انا غير مصنوع، فقال له الصادق(عليه السلام): فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف

كنت تكون؟ فبقي عبد الكريم ملياً لا يحير جواباً وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول: طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن كل ذلك من صفة خلقه، فقال له الصادق(عليه السلام) فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة من غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الامور، فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني أحد عنها قبلك، ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها، فقال له ابو عبد الله: هبك علمت أنك لم تسأل فيما مضى فما علمك إنك لم تسأل فيما بعد؟ على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك، لأنك تزعم أن الأشياء من الاول سواء فكيف قدمت وأخرت؟ ثم قال: يا عبد الكريم: أنزيدك وضوحا؟ أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر، فقال لك قائل: هل في الكيس دينار فنفيت كون الدينار في الكيس، فقال لك قائل: صف لي الدينار؟ وكنت غير عالم بصفة، هل لك أن تنفي كون الدينار في الكيس وأنت لا تعلم؟ قال: لا، فقال ابو عبد الله(عليه السلام): فالعالم أكبر واطول وأعرض من الكيس، فلعل في العالم صنعة من حيث لا تعلم، لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة، فانقطع عبد الكريم (المجلسي، ٢٠٠٥، صفحة ٣/ ٤٨).

فعاد في اليوم الثالث فقال: أقلب السؤال، فقال ابو عبد الله(عليه السلام): سل عما شئت فقال: ما الدليل على حدوث الأجسام؟ فقال: إني ما وجدت صغيراً ولا كبيراً إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الاولى، ولو كان قديما ما زال ولا حال، لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يجود ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الاولى دخوله في العدم، ولن يجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد، فقال عبد الكريم: هبك علمت في جري الحالين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها، فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها؟ فقال الصادق(عليه السلام): إنما نتكلم على هذا العالم الموضوع فلو رفعناه ووضعنا عالما آخر كان لا شيء أدل على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره، ولكن أجبت من حيث قدرت إنك تلزمنا وتقول: إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ما ضم شيء منه الى مثله كان أكبر، وفي جواز التغير عليه خروجه من القدم كما بان في تغيير دخوله في الحدث ليس وراءه شيء يا عبد الكريم فانقطع وخزي (المظفر)

إن خلاصة كلام الصادق(عليه السلام) أن هذا العالم إذا ضم شيء منه إلى شيء آخر حدث شيء اكبر، وفي ذلك زوال عن الحالة الاولى وانتقال الى حال اخرى، والقديم لا تطرأ عليه هذه التحولات، ولو كان ذلك التأليف بالفرض والوهم، كما لو كانت الأشياء حسب فرض ابن ابي العوجاء باقية على صغرها لا تكبر، لأنه من الامور البديهيّة بل أبده البديهيات أنه بضم شيء إلى شيء تحصل زيادة على كل من الشيئين، وهذه إحدى بديهيات أربع هي أساس العلوم الرياضية كلها، فقد أرجع الإمام الدليل على حدوث العالم الى أوضح بديهية في العقول التي لا يختلف فيها اثنان، على أنه(عليه السلام) مع ذلك أجاب على تقدير هذا الفرض المحال وهو أن الأشياء تبقى على

ما هي عليه بضم بعضها الى بعض أجاب بأن هذا الفرض نفسه هو فرض جواز التغيير عليه وخروجه من القدم ودخوله في الحدث، لأن المفروض أن العالم تقبل الأشياء فيه الزيادة بضم بعضها الى بعض، فلو فرضناه عالما آخر لا يقبل ذلك فقد فرضنا رفع هذا العالم وتغييره، فيتحقّق فيه الاستدلال على المطلوب، ما أدق هذا الدليل وأبدعه، ولذلك انقطع به ابن ابي العوجاء وخزي (المظفر).

ان عصر الامام جعفر الصادق(عليه السلام) كان عصر ترجمة وعلوم وفلسفة، فكان يأتيه علماء ومفكرون متأثرون بتيارات الفلسفة اليونانية التي كانت منتشرة آنذاك، اذ يلاحظ في مناظرات الامام الصادق مع عبد الكريم بن ابي العوجاء الذي كان يشكك في الدين والعقيدة الاسلامية من منطلق فلسفي وكلامي، فقد جاء ابن العوجاء الى الامام الصادق(عليه السلام) وأشكل على الآية القرآنية: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا**﴾ (سورة النساء، صفحة ٥٦)، وقال ما مضمونه: إذا عصت الجلود وعذبها الله ثم بدلها بجلود غيرها وعذبها، فما هو ذنب هذه الجلود الجديدة حتى تُعذب؟ مع أن الجلود الأولى هي التي عصت؟! فأجابه الإمام الصادق: «هي هي، وهي غيرها»، وأوضح له بأنه لو أخذ طابوقة بناء وصب عليها الماء ثم عجنها وقولبها مرة أخرى على شكل طابوقة، فهي نفس الطابوقة من حيث وحدة مادتها وهي غير تلك الطابوقة باعتبار شكلها الجديد (الطبرستي، ١٩٦٦، صفحة ٣٥٤).

لقد ناظر الامام الصادق(عليه السلام) فريقا من العلماء والمتكلمين، كما ناظر الزنادقة والملحدين والمعتزلة والمجسمة والقدرية والخوارج وغيرهم من الفرق بأسلوب هادئ رصين مدعم بالحجج والبراهين التي لم تدع لهم مخرجا (الحسني، ٢٠٠٥، الصفحات ٢/ ٢٧٠-٢٨٦).

ولم يكتف الامام الصادق(عليه السلام) باعتماد اسلوب المناظرات العلمية والفلسفية في العقيدة والدين مع الخصوم والملحدين والمشككين بالدين الاسلامي، فقد عمد الى عقد مجالس الاملاء لطلبته اذ روي عن الامام الباقر عن آبائه(عليهم السلام) ان الرسول(صلى الله عليه وآله) قال للامام علي(عليه السلام): ((أكتب ما أملي عليك...)) (الطوسي، الامالي، ١٩٩٣، صفحة ٤٤١).

وقد واجه الامام(عليه السلام) الكثير من الاسئلة والمراجعات الفقهية والدينية التي كانت تتخلل مجالسه فأضحى تلاميذه مدونون كبار، فأنتشر التأليف في حقول المعرفة بين تلاميذ الامام(عليه السلام) ودونت التراجم ومصنفات التفسير والحديث والعلم التجريبي والانسانيات الى جانب تدوين وتصنيف وتوبيب الاحاديث النبوية الشريفة واهل بيته الكرام المسندة اليهم (الاسترآباذي، ٢٠٠١، صفحة ١٦٠)، مما هيأ الاجواء المحفزة لانتشار مذهب اهل البيت وتثبيت أركان (المذهب الجعفري) وفتح المجال واسعا امامه(عليه السلام) لتأسيس جامعة عقائدية فكرية فقهية شيعية، كما دأب الامام الصادق(عليه السلام) على تأكيد فكره العقائدي والفقهي وترسيخ مبادئ الدين الاسلامي في نفوس المسلمين واتباع آل البيت الاطهار،

اذ عمد الى تأليف بعض النتاجات الفكرية والعقائدية للرد على المخالفين والملحدين ومنها كتاب الجامعة وهو كتاب طوله سبعون ذراعا من املاء رسول الله ﷺ، وخط علي عليه السلام صحيفة فيها كل حلال وحرام (الكليني، د.ت، صفحة ٢٤١)، فضلا عن (كتاب التوحيد) وهو كتاب يعني بمعرفة وجود الحكمة في انشاء العالم السفلي وبيان اسرار موجوداته واختلاف اجناسه (ابن طاووس، ١٩٨٨، صفحة ٩١)، الى جانب (كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة) المنسوب للصادق عليه السلام (الامين، د.ت، صفحة ١/ ٦٦٨).

لقد اتجه الامام الصادق عليه السلام بكل إمكانياته الى الدعوة للدين ونشر تعاليمه واحكامه والعمل بها، ولم يترك بابا» من ابواب العلم الا ولج منه اليه وناظر الزنادقة والملحدين والمنحرفين في تفكيرهم واتجاهاتهم عن اصول الاسلام، وظلت دروسه في مختلف المواضيع غنية بالعطاء لكل من جاء بعده، ومرجعا» للمفكرين والعلماء في كل ما يتعسر عليهم حله (الحسني، ٢٠٠٥، صفحة ٢/ ٢٣٦).

الخاتمة

كنا نستعرض فيما سبق ((اساليب التصدي للإرهاب الفكري عند الامام جعفر الصادق عليه السلام، مناظرته مع ابن ابي العوجاء(ت١٣٨هـ/ ٧٥٦م) انموذجا)) وتوصلنا الى النتائج الاتية:

١. ان انفتاح المسلمين على الحضارات والافكار التي كانت تهيمن على البلاد التي فتحها المسلمون، ادى هذا الى كثرت الشبهات والافكار المنحرفة في بلاد المسلمين،واندس بينهم اناس كل هدفهم ان يفسدوا على المسلمين عقيدتهم فظهر الزنادقة والغلاة والملحدين ساهموا في ابعاد الامة عن الواقع الاسلامي، فكان للأمام الصادق عليه السلام، دور مشرف فعال في صد تلك الموجات الفكرية الشاذة وباشر بنفسه المعركة الفكرية وناظر فرق الزنادقة والغلاة والنصارى والمعتزلة وجعل باب المناظرة في الرد والقبول متسعا» لدى الامام الصادق عليه السلام... وهذا ما ركزنا عليه في صفحات بحثنا، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان دائرة الخلافات العقائدية قد أتسعت دينيا» وفقهيا» كان يطرحها الملحدون والمشككون من جهة اخرى.

٢. شهدت الحركة الفكرية في عصر الامام الصادق عليه السلام ظاهرة من الحوار والمناظرات لرد شبهات المنحرفين واصحاب النظريات الغافلة عن الحق.

٣. وجد الزنادقة في الامام عليه السلام أخطر خصم يواجهونه في حربهم للإسلام، فكانوا يحاولون اثارته بجدلهم

المتعنت وتحدياتهم الهوجاء، وان الامام يجيبهم بكل هدوء وثقة واطمئنان مما جعلهم يذعنون تقديرا» واحتراما».

٤. عمد الامام الصادق عليه السلام الى استخدام اساليب اخرى غير المناظرات العلمية، فحرص على عقد مجالس الاملاء لطلبته فأضحى تلاميذه مدونون كبار، وتمكن من تأسيس جامعة عقائدية فقهية شيعية.

٥. كان للأمام الصادق عليه السلام دوراً بارزاً وعظيماً في حماية الفكر الاسلامي الاصيل وتثبيت أسسه ومعالمه وتزييف الانحراف والتجاوز، مستخدماً كل الوسائل الممكنة للتصدي للإرهاب الفكري مستخدماً أساليب فكرية من أهمها اعتماد أسلوب الحوار الفكري للتأكيد على الالتزام بالمبادئ الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ) المسعودي. (٢٠٠٩). اثبات الوصية للامام علي بن ابي طالب عليه السلام (المجلد ١). بيروت: د.مط.

٢. ابو الحسن علي بن الحسين(ت٣٤٦هـ) المسعودي. (٢٠٠٦). مروج الذهب ومعادن الجوهر (المجلد ٢). بيروت: دار الكتاب العربي.

٣. ابو الريحان محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ) البيروتي. (٢٠٠٠). الآثار الباقية عن القرون الخالية (المجلد ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. ابو الفضل محمد(ت٥٠٧هـ) المقدسي. (٢٠٠١). معرفة الالقاب. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

٥. ابو جعفر محمد بن جرير(ت٣١٠هـ) الطبري. (١٩٣٩). المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين. بيروت: منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

٦. ابو جعفر محمد بن يعقوب الرازي(ت٣٢٩هـ) الكليني. (د.ت). الفروع من الكافي. طهران: دار الكتب الاسلامية.

٧. ابو عمر يوسف(ت٤٦٣هـ) ابن عبد البر. (١٩٦٧). التمهيد. المغرب: وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية.

٨. ابو محمد عبدالله بن مسلم(ت٢٧٦هـ) ابن قتيبة الدينوري. (٢٠٠٣). المعارف (المجلد ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

٩. ابو منصور احمد بن علي (ت٦٢٠هـ) الطبرستي. (١٩٦٦). الاحتجاج. النجف الاشرف: مطبعة دار النعمان للطباعة والنشر.

١٠. احمد امين. (١٩٥٤). ضحى الاسلام. القاهرة: د.مط.

١١. احمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت٢٩٢هـ) اليعقوبي. (٢٠٠٢). تاريخ اليعقوبي (المجلد ٢). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢. الشيخ محمد حسين المظفر. (بلا تاريخ). مناظرات الصادق عليه السلام في التوحيد. تم الاسترداد من https://research.rafed.net/.

١٣. رسول جعفريان. (١٩٩٤). الحياة الفكرية والسياسية لائمة اهل البيت عليهم السلام (المجلد ١). بيروت: منشورات دار الحق.

١٤.رضي الدين علي بن موسى(ت٦٦٤هـ) ابن طاووس. (١٩٨٨). الامان من اخطار الاسفار. قم: د.مط.

١٥.سورة النساء. (بلا تاريخ).

١٦.سورة فاطر. (بلا تاريخ).

١٧.شمس الدين ابو المظفر(ت٦٥٤هـ) سبط ابن الجوزي. (٢٠٠٤). تذكرة الخواص (المجلد ١). بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة.

١٨.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. (١٩٦٣). رسالة الغفران. القاهرة: دار المعارف.

١٩.عبد الرحمن بدوي. (١٩٤٥). من تاريخ الالحاد في الاسلام. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٢٠.عز الدين علي بن محمد بن محمد (ت٦٣٠هـ) ابن الاثير. (د. ت). الكامل في التاريخ. بيروت: دار ومكتبة الهلال.

٢١.علي بن احمد بن سعيد(ت٤٥٦هـ) ابن حزم. (٢٠٠٩). جمهرة انساب العرب (المجلد ٥). بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٢.علي بن عيسى بن ابي الفتح(٦٩٣هـ) الاربلي. (٢٠٠٦). كشف الغمة في معرفة الائمة. بيروت: دار المرتضى.

٢٣.مجد الدين محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ) الفيروزآبادي. (٢٠٠٨). القاموس المحيط. القاهرة: دار الحديث.

٢٤.محسن العاملي الامين. (د.ت). اعيان الشيعة. بيروت: دار التعارف للمطبوعات.

٢٥.محمد باقر(ت١٠٤١هـ) الاسترآباذي. (٢٠٠١). الرواشح السماوية. قم: دار الحديث للطباعة والنشر.

٢٦.محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ) الطوسي. (١٩٩٣). الامالي (المجلد ١). قم: د.مط.

٢٧.محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ) الطوسي. (١٩٩٣). الامالي. قم: د.مط.

٢٨.محمد بن باقر(ت١١١٢هـ) المجلسي. (٢٠٠٥). بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار. بيروت: مؤسسة الاعلمي.

٢٩.محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ) الشهرستاني. (٢٠٠٩). الملل والنحل. بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٠.محمد بن علي بن القاضي محمد(ت١١٥٨هـ) التهانوي. (١٩٩٦). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (المجلد ١). بيروت: مكتبة ناشرون.

٣١.محمد بن علي بن حسين بن موسى(ت٣٨١هـ) الشيخ الصدوق. (١٩٦٦). علل الشرائع. النجف: منشورات المكتبة الحيدرية.

٣٢.محمد بن محمد بن النعمان(ت٤١٢هـ) الشيخ المفيد. (١٩٨٣). الارشاد في معرفة صحيح الله على العباد. قم: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث.

٣٣.محمد بن مكرم بن علي(ت٧١١هـ) ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. القاهرة: د.مط.

٣٤.نبيلة عبد المنعم داود. (د.ت). نشأة الشيعة الامامية. بيروت: دار المؤرخ العربي.

٣٥.هاشم معروف الحسني. (٢٠٠٥). سيرة الائمة الاثني عشر (المجلد ٣). قم: مطبعة ذي القربى.